الاشتقاق والتّطوّر الدّلاليّ في لهجة توانت

(شمال غربيّ تلمسان)

دراسة تطبيقيّة

أحمد قريش

قسم اللّغة والأدب العربيّ

جامعة أبو بكر بلقايد

سنتناول في هذا المجال التغيّر ومظاهره وأسبابه المرتبطة بمبعث اللّفظ ومحطّ الدّلالة[1]، أي : الناحية الصوتية والدّلالية، فمظاهره تلاحظ في التطوّر الذّي يكتنف الأصوات، وتبدّل المعنى الدّلالي أو تحريفه من جيل لآخر. أمّا أسبابه فيمكن حصرها في عوامل الصّفات الصّوتية أو الدّلالية. وهذه المظاهر في جملتها تلقائية حتمية يخضع لها جميع أفراد المجتمع اللّهجي في تواصلهم عادة ما يقتضي تجنّب ما هو كمالي، واللّجوء إلى مرادفاته[2]، أو اشتقاقات جديدة، وإليه يعود السبب في اقتراض عدد كبير من المفردات الفصيحة.

واكتساب المفردات هو أقلّ مظاهر اللّغة عسرا، ولذلك فإنّ كلّ متكلّم يبقى قاموسه اللّغوي خزّانا مفتوحا طول حياته بمداومته على الاقتراض والاستعارة ممّن يحيطون به، واستمرار الحياة يساعد كثيرا على تغيّرها بسبب العلاقة المطردة بين اللّهجة وثقافة المجتمع.

والاشتقاق[3]، عنصر مهم في تطور اللّهجة وتوليد الألفاظ الجديدة، يقوم بالرّبط بين مجموعة من الصّيغ هي خلاصة تقاليب الأصل، بناء على الاستخدام اللّهجي المتطلّب لاحتمالات اشتقاقية مختلفة تقتضيها قوانين

اجتماعية، وطبيعية، تكشف بشكل تقريبي على المفردات وتحوّلاتها التلقائية، بصرف النظر عمّا إذا كان الأصل فيها مصدرا أو فعلا[4].

ولأسباب مختلفة في مقدمتها التأثير الزمني[5]، اتسع نطاق الاشتقاق باستحداث مفردات[6]، يحكمها ترابط في الصيّاغة ظلّت المفردات القديمة مرجعا لها. وهذا الاتساع صرف المتكلّمين عن مصدر الاشتقاق، فاتخذوا من أسماء الذّوات مصدرا لهذه العملية اللّغوية، نحو : "تمّر" فاستخدام هذه الكلمة "تمّر" بمعنى جمع الثمر وصبّره لأوقات الشدّة، والزّيتون المثمّر أي : المصبّر، والمعنى العام للفعل هو تخزين الزّاد نستشفه من قولهم : "النملة تمّر وأرجوج (حشرة) يزمّر". كما أنّ الكلمة تحمل مدلول تحقيق الثروة، نحو قولهم : "عمّر وتمّر". وكلمة "سفّد" فمعناها الحقيقي تنظيم قطع من اللّحم في قضيب، فانجرف المعنى ليصبح دالاّ على الضّرب، مثل : سفدّه، بمعنى ضربه كما يتضح في قولهم : "سفدّه وسرّد(ه) وأرجع يهجم (يعضّ) فيداه (في يديه)". يضرب هذا المثل على من يشتدّ به النّدم، وسفدّه تحمل أيضا معنى خمّدّه وسكّنه في موضع معيّن. وكلمة خشّب، مثل : "خشّبه"، بمعنى طرحه أرضا كالخشبة، وتطلق على الضّحك المصحوب بقهقهة. وكلمة "ستشاره (كيس)" يقولون : "شتشر تشرتشر(Tricot)" بمعنى عرّض مدخل رأسه. ومن أسماء الأزمنة مثل كلمة "ربّع"، في قولهم : "تربّع ويصفى عليش الحال"، فيربّع تحمل معنى الجلوس بثني الرجلين، ونحو "تخرّف"، و"تصّيف" و"تشتّى".

ومن أسماء الأفعال "تمعوك"، بمعنى تموء في قولهم : "ازّاش (كفّ) ما تمعوك عليّ". وكلمة "تكاك" (صوت الدّجاج) يحمل معنى الثرثرة في قولهم : "ازّاش ما تكاكي". وتفيد معنى الإلحاح، نحو : "راه غير يكاكي عليّ اسم حبّ"

ولا بدّ من استعادة إدراك الظّروف المهيّأة للاستعمالات الّتي كتب لها الانتشار منها على سبيل المثال : "برّز متش"، أي بالرغم منك، فمادة "برّز" لها استعمال مجازي لأنّ حقيقة المادّة في اللّهجة مأخوذة من "برّط"، لا بمعنى عصر،

فإذا قيل "برّطه" أي عصره، ثم تطوّرت الطاء زايا. ونأخذ مثلا آخرا، فعبارة "فعّس فيّ واعملها" "فعّس" هي من مادة "ف.ع.س" بمعنى وطأ. وليس من صلة بين المعنى الحقيقي وهو الفعس، أي الوطأ، وفعّس عليّ بمعنى تحدّاني.

والتطوّر التاريخي لأصل الكلمة ودلالتها يكشف لنا عن أصول متعددة منها ما كان من أصل أمازيغي، نحو : "أرنز"، بمعنى العرقوب، وتطابق على نحيف الجسم. وكلمة "أديدي" (المهراس)، تعني أيضا السّحق. أو ما كان من أصل عربيّ في بناء أمازيغي، كزيادة الهمزة والياء في أول الكلمة، نحو : "أيروج" وهو اسم آلة مشتقّ من الفعل اللّهجي "ريّج"، بمعنى أوقد النار وزادها اشتعالا، وهو مأخوذ من الفعل الفصيح راج بمعنى انتشر. و"أيدور"، بمعنى صحن يحفظ فيه اللبن. أو بزيادة همزة التعريف الأمازيغية على ما كان من أصل عربيّ، نحو : "أغنيّ" بمعنى الغناء، و"أسكنّ" جلد يوضع فوق القدر لمنع تسرّب البخار، و"أكركر" بمعنى الثرثرة.

ومنها ما كانت ذات أصل أسبانيّ اقترضتها[8] اللّهجة لأغراض كلامية بعد تطويعها وفق قوانينها الصوتية، نحو : "مُويّ" بمعنى أطلق وأعطيه "ألو" بمعنى أطلق له الحبل، والفعل"تشارط"، بقلب الكاف تش، يدلّ على الفرز مصدره "تشارطه"، والمعنى الأصلي له باعد أو فارق بين الشيء والشيء.

كما تحتوي اللّهجة على بعض الاشتقاقات يتمّ فيها ربط كلمة بكلمة أخرى ليست بينهما علاقة جذرية، فيتغيّر بموجبها منحى الكلمة، نحو : "لْفدّار" هي مونيم مركب من "لْفَ" بمعنى فم والدّار ومزجهما يعني مدخل البيت، و"أشكوف" تعني قطعة صغيرة من شيء صلب متهشّم، عكس كلمة الشقيف في الفصحى الّتي تدلّ على الصّخر العظيم المنحدر من الجبل، وهي كلمة مشتقّة من فعل "شكّف" بقلب القاف كافا، تعني في اللّهجة إسالة دم الرأس بقطعة حجر صغير، وعليها أصبحت كل قطعة صغيرة من شيء صلب، مهما كان أصلها وطبيعتها، يطلق عليها "أشكوف". وكلمة

"أمطلوس" بمعنى منطقة خالية، فهي مركّبة من : "أخم"، بمعنى انظر و"طلوس" بمعنى مكان خال وهي لفظة مشتقّة من فعل "طلس" بمعنى اختفى، والهمزة للتعريف وبحذف الخاء للتخفيف أصبحت الكلمة "أمطلوس" تدل على المنطقة الخالية التي اختفى فيها كل شيء.

كما تغيّرت في اللّهجة مدلولات لمفردات كثيرة بتغيّر الشّيء نفسه الّذي تدلّ عليه. من حيث عناصره أو وظائفه أو الشؤون الاجتماعية المتصلة به[9] نحو : كلمة "كنينة"، فهي قنينة، بمعنى وعاء صغير وأصبحت في اللّهجة عن طريق التطوّر تطلق على القدر الصّغير. كما تطوّرت في اللّهجة بعض الصّيغ محدثة تغيّرا في مجالها، فكلمة "أدّاس" ، وهي إشارة لمنطقة بالضاحية الشرقية للغزوات حاليا. هي في حقيقة الأمر مشتقة من الفعل "دسّ" بمعنى خبّأ. أصبح الفعل بموجب مدّ الدّال في نطاق الأسماء، لأنّ المكان حسب شهادة بعض أعيان المنطقة كان يدسّ فيه تحت التراب بعض المنتوجات الفلاحية في غياب وسائل الحفظ، ونحو: "لبداعة" وهو اسم لقرية في القسم الجنوبيّ من الجغرافية اللّسانية كان أهلها يبدعون كثيرا في صناعة الأواني الفخارية.

كما يضع أهالي توانت بعض الكلمات في غير موضعها، نحو قولهم : "تبرجت وجات لكات (لقت) لعرص (العرس) فاتها"، فتبرّجت هنا بمعنى تزيّنت. ونحو : "أخمار" تعني عندهم بيت العنكبوت، وتدلّ في جهات أخرى -على غرار الفصحى- على غطاء رأس المرأة. وكلمة "كبايلي"، بقلب القاف كافًا تعني في كلامهم البدوي. وإذا أراد أحدهم التعبير بصيغة النفي يستعمل كلمة "زميط" بدلا من "لا"، إذا قيل مثلا لأحدهم : أعطيني شيئا، فيجيب بالنفي "زميط"، والدلالة الأصلية للكلمة هي نوع من دقيق الشّعير، ونظرا لقلّة أهميته الغذائية أصبح لا يستعمل مادة أساسية في العيش، فاستعملت في النفي. وكلمة "دجرناطي" بمعنى غني، وأصلها في

الفرنسية "Journalier" التي تعني أجير يومي، وهذا التطوّر نتج عن ظروف اجتماعية، فسكان المنطقة الأوائل اقتصر مصدر رزقهم على نشاط الصيد البحري المتذبذب بفعل اضطرابات البحر التي تستمر في كثير من الأحيان أياما عديدة، فيمتنع -وقتها- عليهم ما يضمنون به عيشهم، أمّا الوضعية الاجتماعية للدجرناطي في منظورهم كانت مستقرة، أي أنه بمثابة الثري.

التّعميم الدّلاليّ

أو التوسّع في المعنى كما يطلق عليه بعض اللّغويين، مرتبط بأسباب داخل اللّهجة. نجد في كلمة "لعريف" وهو اسم لعائلة من قبيلة مسيردة اشتهرت بفرقة فلكلورية تكوّنت أعضاؤها من هذه الفرقة، وأصبحت دلالتها تطلق على أعضاء كلّ فرقة فلكلورية، نحو قولهم : "لعريف ما ينسى هدّ تشافو (أكتافه)".

يمكن للكلمة أن تدلّ على الحوض الصّغير الّذي يشرب منه البهائم، ثمّ اختصت دلالته على إناء الماء. وكلمة "ارَمُود" كانت تطلق على الوسط، وهي مشتقة من "الرِمْدْ" في الفصحى وباختصاص الدلالة أصبحت تطلق -في اللّهجة- على بقايا التبن غير الصّالح. وقولهم : "ارّتابَه"، كانت تعني في السابق كلّ ما يثبّت به شيء، فيقولون "ارتبْ" بمعنى اهدأ وأسكن، ثمّ خصّصت دلالتها لدرج الباب الرئيسي للبيت. ونحو كلمة : "بن جَعْرَانْ" كانت تطلق على جميع الحشرات ثم تخصّصت دلالتها على الذباب. وكلمة "خرج"، فكانت تدلّ على كلّ ما يخزّن فيه من متاع وحبوب، ثم اختصّت دلالتها على تلك الوسيلة المصنوعة من الحلفاء الّتي توضع على ظهر الدّابة لحمل الأمتعة، ومن الفعل اشتقت كلمة "أخْرَاجْ" بمعنى الصّديد، و"لْخرَّجيَه" بمعنى الباب الرئيسي للمسكن. وكلمة "لُوحْ" بإسكان الحاء اختصت دلالة الكلمة على لوح الغسيل التقليدي، أمّا بفتح الحاء الدّالة على التاء المحذوفة تطلق على لوح الخشب.

وقولهم : "سَبْسَبْ" أصبحت تطلق على ابن آوى، وكانت تدلّ على كلّ ما هو مسقول، نحو قولهم : "شعر مْسَبْسَبْ"، أي مُنْسَرِحٌ.

ومن أمثلة التطوّر الدّلالي وتعميم معانيه، كالانتقال من الأصل إلى الفرع، كلمة "برطال"، فإنها كانت تدلّ على طائر بحري، ثمّ عمّمت على كلّ طائر مهما كان نوعه. وكلمة "أبْزِلُ" بكسر الزاي، كانت تعني حبّة التين الصغيرة الّتي لم تنضج بعد، فتوسعت دلالتها وأصبحت تطلق على كلّ ما هو صغير الحجم أو القامة. ومن الاتساع في دلالة مادة "رجّ" بالاشتقاق من الحركة الّتي يؤديها الصرصور بجناحيه مؤديا صوتا معينا فسمي في اللّهجة "أرْجُوجْ".

أمّا التّخصيص الدّلاليّ

المعروف بتضييق المعنى والخروج به عن نطاق المحدود، نجده في كلمة "ريحه" (رائحة)، فهي عامّة سواء أكانت طيّبة أم كريهة، فيقولون : "ريحة مليحة"، "وريحة كبيحة"، ثمّ خصّصت في حديثهم وأصبحت تطلق على العطر. وقولهم : "لخبزه تكاطات" بمعنى الدّخل توقّف بالتعطل عن العمل بسبب من الأسباب. ومن أمثلة انتقال الدلالة كلمة "جويه" فهي مشتقة من "اجتوى" أي : كره، واجتوى الطعام بمعنى كرهه، ثم أصبحت تدلّ على الفلفل الحار. وكلمة "لعريش" فهي من كلمة "عرش" نقول عرش الكرم إذا ارتفعت دواليه على الخشب، ثم أصبحت تدل على الكروم التي تستغل تعريش لتظليل ساحات المساكن.

وتحوّلات الاسم قد شاعت ظاهرتها في اللّهجة، فكلمة "ثشلَخْ" بقلب الكاف "تش" تطلق في لهجات أخرى على الخيط الأسود الّذي تربط به العمامة على طربوش أحمر، ثمّ أطلقت على كلّ ما يوضع على رأس عن طريق المجاورة في الاستعمال، ومثل أيضا : "الرّابُورْ" الّتي أصبحت تدلّ على وسيلة تستعمل في نفط النار. وكلمة "دْجَامُوسْ" بقلب الجيم القاهرية إلى "دج" تدلّ

في اللّهجة على سوار المرأة. وقولهم : "لهْزِيزَه"، أي : لحظة من الوقت، اكتسبت الكلمة هذه الدلالة من اهتزاز عقرب الساعة هزة واحدة فصغرت "هْزيز"، وعن طريق العلاقة المركبة أصبحت تعني الكلمة وحدة زمانية قصيرة.

وشملت بعض الكلمات تحولات في الدّلالة نجمت عن تغيّرات صوتية بالزيادة أو النقصان، نحو كلمة "بَارْبَار" بتفخيم الباء، ويراد بها تلك الفاكهة الشّوكية القفرية اشتهر برابرة المنطقة قديما في زراعتها، فبالتغيّر الصّوتي للكلمة بزيادة حركتين لين طويلتين تغيّرت دلالتها بحكم ارتباط الفاكهة القفرية بالّذين اشتهروا بها. وقولهم : "هَرْفِيلْ" بزيادة الياء واللام وأصل الكلمة "هرف"، فنقول هرفت شجرة التين بمعنى عجّلت أكلها فتغيّرت دلالتها وأصبحت تدلّ على التين المجفّف بطرق تقليدية. وقولهم : "أجْدَارْ" بمعنى البيت، ويرجع أصل الكلمة إلى أحد الاحتمالين، أولاهما : أنها بمعنى الجدار، والهمزة فيها أداة للتعريف، والثّاني : وهو الأرجح بإضافة صوت الجيم على كلمة "دار" لإزالة تفخيم الدال.

والتطوّر الدّلالي بالنّقل، نحو : "اشْرش" بقلب الكاف شينا، فهي من الإشراك، وتدلّ أيضا على الجلد الخالص. وقولهم : "زفّ"، بمعنى بعث وزفّ الشيء، بمعنى باعه. وقولهم : "أزاش ما تزف عليّ" بمعنى كفّ عن الكذب. و"فْتح" بمعنى فتح الشيء بعد إقفاله، وتعني الهروب أيضا. وكلمة "صْبيح" بمعنى جميل مأخوذة من نور الصباح. ولفظة "يَعْلِي" تطوّر مدلولها إلى المشي والسّير، فيقولون : "يَكْدَرْ (يقدر) يَعْلِي"، أي أنّه قادر على المشي. وكلمة "شرّب" بمعنى صفّق، فهي متطوّرة من شرّب الماء، إذا تناوله بين كفيه. وكلمة "شطّب" بمعنى كنس، انتقل مدلولها إلى الضّرب، فيقولون : "شطّبه"، أي ضربه. ولفظة "مغدور" فهي من غدر الّتي تحمل عندهم معنى الغدر، واسم المفعول مغدور تعني الكسكس باللبن. وكلمة "سطلة" (وعاء خاص بالوضوء) وانتقل مدلولها إلى سطل، بمعنى أصلع. ولفظة "رتابة" مدخل الباب، مأخوذة

من رتب بمعنى ثبّتَ. فتقتضي آداب الزيارات التثبّت أمام الباب إلى حين الاستئذان بالدخول. و"بوسراي" بمعنى المشط، فانتقلت دلالته أيضا إلى النّدب في قولهم : "يسرى عليش" بمعنى يندب عليش. و"درعية" القفة القماشية عادة ما يدخل فيها الذراع لحملها.

كما تبدو لنا اللّهجة في حركتها بين الدّلالات المجرّدة والدّلالات المادية قادرة على التشكلّ حسب ما تتطلّبه الحاجة من اتساع، فكلمة "اسْقَاطَه" فهي من السّقط، ما لا خير فيه من كلّ شيء، تغيّر مدلولها وأصبحت تعني "حرشف السّمك". وقولهم : "اتُحْرَاش" بضمّ التاء وقلب الكاف شينا، كانت تدلّ على عملية تتطلّب التحريك وخلصت في تطوّر دلالتها إلى الملعقة الكبيرة الّتي يحرّك بها ما بداخل القدر. وكلمة "غُنْجَه" بضمّ الغين، كانت تطلق على الدّلالة، وانتقلت دلالتها إلى تلك الوسيلة المعروفة "بالخُيَالَة" الّتي توضع في الحقول لمنع الطّيور من إتلاف الزّرع. وكلمة "اسْرُوخ" إنما كانت تدلّ على الخروج فأصبحت تدلّ على زاد الرّاعي الّذي يأخذه معه، ثم استقرت دلالة هذه الكلمة على الطّعام الّذي يأخذه كلّ عامل إلى مكان عمله.

التطوّر الدّلالي من الحسّي إلى معنى مجرد، نحو قولهم : "مَجْيُورَه ولا ثبَيَّط" ويضرب المثل على كلّ ما لا يرجى منه فائدة، فالأصل في "مَجْيُورَه" أنها دجاجة بيّاضة وأرادت الانتقام من صاحبها -حسب ما ترويه أسطورة شعبية محلّية- نظرا لبخله الشّديد فباضت له بيضة مسمومة كانت عليها نهاية حياته، فكثر التشاؤم بهذا الاسم في المنطقة قديما. وكلمة "لْفَرْيَاط" مفتاح الباب الرئيسي عادة ما يكون أكبر حجما وشكلاً من مفاتيح الأبواب الثانوية، فتطوّر معنى الكلمة المحدود وأصبحت تدلّ على الغلظة والشدّة.

وربط أصحاب اللّهجة بين أعضاء الجسم وبعض الصّفات للدّلالة على معان نفسية وخلقية تظلّ في مجملها محدودة التفريعات، نحو قولهم : "كلّبُو واسَع" للدّلالة على التحمل، و"كلّبُو تشْحَلْ" للدّلالة على الحقد

والضغينة، وعكس ذلك، "كلبو بيَط". وكلمة : "دُجصتو" بقلب الجيم القاهرية "دج" بمعنى جبهته، فيقولون : "دجصتته مْرَبْحه" للدّلالة على الخير. و"عَيْنَايَنْ شَاحْرِينْ" للدّلالة على الحسد. و"وصَبْعَائو غْلاَطْ"، للدّلالة على الخشونة، و"لْسَائو كَاطَعْ"، للدّلالة على الكلام المجرّح. و"تشَرْشُو (كرشه) تشْبِيرَ (كبيرة)"، للدّلالة على هضم حقوق الغير، و"رَجْلاَيَنْ طْوَالْ"، للدّلالة على التعدّي، و"رَجْلاَيَنْ مَكْصُوصِينْ" للدّلالة على الخمول والكسول.

وما نلاحظه في حالات التطّور الدّلالي في اللّهجة، أن بعض عمليات التحويل أو التحوّر لا يصحبها في الكثير من الأحيان نشاط اشتقاقي، وذلك بسبب محدودية بنية اللّهجة، وظلّت العديد من الكلمات تتحرّك داخل حيّز صغير محتفظة بصيغتها الصّرفية، تتغيّر دلالتها جزئيا عملا بما تقتضيه الحاجات الاجتماعية.

وإذا نظرنا إلى الكلّمات الأعجمية، نجد أنّها أسهمت بتطوّرها الدّلالي في إنماء الثّروة اللّفظية للّهجة، وحلّت محلّ الكلّمات الأصلية المفقودة، فهم لا يقولون هذا غنيّ أو "مْرَفَّخْ" كما هو جار على بعض الألسنة الدّارجة، وإنّما يقولون هذا "دجَرْنَاطِي"، وهي مكن أصل "Journalier" أي أجير يومي والتغيّر الدّلالي للكلمة مرتبط بظاهرة اجتماعية. وقولهم : "دْجَامْبَه" بقلب الجيم القاهرية "دج" وتفخيم الباء، وهي تعني بالإسبانية الجمبري، فأصبحت تدلّ على الأبلهِ من النّاس. و"دْجَليطْ" كلمة من أصل فرنسي "Galette" تعني قرص حلوي، فأصبحت في اللّهجة تعني الإنسان البدوي الساذج، والمرادف لها كلمة "تشَافِ" "Café". وضمن هذا الإطار نجد قولهم : "خنْتِي"، "Geuté" وهي كلمة من أصل إسباني تعني الخلق والنّاس، تحوّل معناه في اللّهجة إلى سيّئ الخلق، و"لاَمَه" بتفخيم اللام وهي مأخوذة من كلمة فرنسية "Lama" تعني حيوان لبون، وتتداول في اللّهجة بمعنى العاهرة، فيقولون "هَدِ لاَمْ"، أي عاهرة.

الدّلالة المجازيّة

للتفريق بين الحقيقة والمجاز يجب الرّجوع إلى أصحاب اللّهجة دون الاحتكام إلى العقل ولا السّمع لأنّ العقل متقدم عن وضع اللغة، فإذا لم يكن فيه دليل على أنّه وضعوا الاسم لمسمى مخصوص، امتنع أن يعلم به أنّه نقلوه إلى غيره لأنّ ذلك الفرع العلم بوضعه، وكذلك السمع إنما يرد بعد تقرر اللّغة. وحصول المواظبة، وتمهيد التخاطب، واستمرار الاستعمال وإقرار بعض الأسماء فيما وضع لها، واستعمال بعضها في غير ما وضع لها[10].

ويكتسي المجاز دورا بالغ الأهمية في خلق العديد من مفردات اللّهجة وسمة بارزة من سمات التطوّر الدّلالي فأدرك اللغويون قيمتها فدفعوا بضرورة الإفادة منه أو جعله وسيلة توسيع وتكبير للّغة مسموحا به لكلّ منشئ ما دام يتعرّف وجوه العلاقات الواجب مراعاتها في نقل اللّفظ إلى غير معناه الأصلي[11].

والدّلالات المنقولة لبعض الألفاظ المستعملة من الوجهة المجازية[12] تبرز بوضوح قدرة لهجة توانت عن الاتساع في التعبير وإيداع الصّور الّتي توظّف لأغراض كلامية مختلفة لها ارتباطات بجوانب نفسية واجتماعية لا لغرض التأثير أو الابتكار الفني، أي أنهم يتداولونها بالوجه الاستعاري المحض.

الدلالة المجازية : يعمد فيه المتحكم إلى ملاحظة علاقة المضارعة من المدلولين لتحقيق النقل بصفة إرادية، دون قصد التصوير كأن يعبّروا عن نوع من الحلوى بـ "تشْعْبْ غْزَالْ"، وعن مجفف الشعر بـ "ثشَابُوسْ الرِيحْ"، واعتمادا على المشابهة بين هذه الوسيلة و"التشابوس" (المسدس) في الشكل لا الوظيفة. وعن طريق المعبّد بـ "طْرِيكْ النْصَارَى"، وعن وضع اليد على الخد بـ "رْتشِيزَتْ الْهَمْ (ركيزة الهم)". عن الفقرات العصعوصية للذبيحة بـ "عصات الراعي". ومن ذلك إطلاق كلمة "مَرْوِيَه" الّتي تعني البقرة على البدينة (السمينة) اعتمادا على شيء من المشابهة في الضخامة.

أمّا ذات الغرض التعبيري، تنحصر معظمها في المجاز المرسل بعلاقاته المختلفة، فيقولون : "عَبّيتْ ادّارْ لَلْحَمَامْ" ويقصد أهل الدار، ونحوه : "سَلّمْ لِي عَلْ ادّارْ" علاقاتهما المحلّية، وقولهم : "دِحَبْ اشْبَحْ مَا يْكُولْ أَحْ" ويراد بالشبح العسل، وقولهم : "مَتّغْهَمْ ازْمَانْ وَصَرْطَتْهَمْ لِيَّامْ". أسندوا في قولهم : "التمتاع" (المضغ) إلى الزمان و"التصرّاط" (الابتلاع) إلى الأيّام إسنادا إلى غير الفاعل الحقيقيّ لأنّ الّذي (يمتغ ويصرط) حدثان وقعا في الزمان والأيّام، فهو إسناد مجازيّ علاقته الزّمانية. وقولهم : "لْوَادْ حَامَلْ وْمَاهْ هَامَلْ" فـ "لحَامَلْ" المراد به سريان المياه بغزارة، في هذا المثل أسند "الحامل" إلى الوادي أي : إلى غير فاعله الحقيقي، لأن الوادي مكان سريان المياه وهو لا (يحمل)، وإنما (يحمل) ما فيه وهو الماء، فإسناد "لحامل" إلى الوادي إسنادا مجازيا، علاقته المكانية.

بالإضافة إلى هذه العيّنة من التعبير المجازيّ، فإنّ اللّهجة تحتوي أيضا على عدد كبير من الكلمات ذات الدّلالات الهامشية تختلف عمّا هو مألوف لها تقاس بالوجه المتواضع عليه، نحو كلمة "اَسَّمْ" هذه لها عدّة أوجه دلالية مجازيّة إذا ما وظّفت خارج إطارها المتفق عليه وهو تلك المادة القاتلة، فهي تدلّ على الحقد، فيقولون : "فْلاَنْ سَمّي"، وعلى البرد الشّديد يقولون : "السَّمْ رَاهْ"، وعلى الكلأم المجرّح يقولون : "يَطْلَكْ اسَّمْ مَنْ فَاهْ". وكلمة "اسَّاطُورْ" ما يقطع به اللّحم، والدّلالات المجازية بهذه الكلمة الألم والوجع. ونحو قولهم : "رَاهْ اسَاطُورْ فْرَاصِي" بقلب السّين صادا، والضّرب المبّرح، يقولون : "ساطْرُو"، وعن الإنسان الّذي يخشى جانبه، يقولون عنه : "هَدَ سَاطُورْ". وكلمة "أَزْكُورْ" جذع شجرة كبيرة، ومن دلالاتها الموت يقولون : "رَاهْ مْزَكّرْ" أي ميّت، والخشونة والغلظة فيقولون : "هَدَ مْزَكّرْ".

وهناك تعابير مجازية مستوحاة من الحيوانات والطّيور والخضروات، نحو "لْمَدْغُورْ" الحمار، والّذي يعمل كثير يقال له أيضا "مدغور"، والكلمة نفسها

تطلق على الغبيّ، والكثير التحمّل والذّليل، والمظلوم الساكت عن حقّه. ومن الطّيور "لْغاوْيَه" نوع من الطّيور الساحلية تطلق على النّحيف، الخفيف، التّرثار.

والدّلالات المجازية الحاصلة عن طريق التشابه الوظيفي المرتبطة بجوانب ثقافية واجتماعية كانت عاملا جوهريا في تشعّب المعاني انطلاقا من المعنى المركّزي للكلمة اكتسبت على إثره اللّهجة إمكانيات أكثر في تسهيل التواصل. وأشير إلى أن الاستخدام المجازي في أكثره غير مقيّد ببيئة اللّهجة، بل تشترك في لهجات أخرى مجاورة، وإن كانت تختلف عنها في طبيعة الكلمة وأصواتها، نحو : "بَنْ جَعْرَانْ" الذّباب، يشيرون بهذه الكلمة إلى الجمع الغفير، فيقولون : "لْعَرْصْ حْطَرْلُو بَنْ جَعْرَانْ"، نفس التعبير نجده في جهات أخرى محوره كلمة "دبّانْ".

زيادة على الاستعارة اللّغوية، فإنّ التعابير الرّاقية للهجة المتمثلة في الأقوال المأثورة والحكم والأمثال والأشعار الشعبية تتوفّر على قدر هام من الاستعارات الفنّية وغرضها المقصود، التوضيح وتقريب الفهم، نحو قولهم : "اطْرَبْ اصَّحْ يَمْبَتْ". بقلب النون ميما، وقولهم : "اطَّعْفْ يْرَدْ لْتشبْشْ حَوْلِي". والمراد بـ "الطعف" (الضعف) الفقر. فهذان التعبيران تمّ الارتداد بهما إلى العالم المحسوس وتمثيل المجرّد، أي : أنّهم أرادوا أن يشيروا إلى أنّ الصّدق يفلح، والضّعف المادي (الفقر) يقلب موازين حياة الإنسان، فوضعوا كلاما غير الّذي وضع له[13]، أي : وضع كلمتي "اصَّحْ" و"اطَّعْفْ" في موضع ثمّ استعارته من موضع آخر[14] يليق بالمعنى المألوف. وبهذا فإنّ الانتقال بالاستعارة من مستواها اللّغويّ إلى المستوى الجمالي البسيط أعطى للّهجة القدرة في التعبير عن تجارب مختلفة.

الإحالات

1- ينظر *مختار الصحاح* مادة (د-ل-ل) محمد بن أبي بكر عبد القادر الرّازي، دار الكتاب العربي بيروت لبنان، د.ط، د.ت.و ينظر *تطوّر البحث الدّلالي دراسة تطبيقية في القرآن الكريم*، محمد حسين علي الصغير، ص90. وينظر *علم الدلالة العربي* (النظرية والتطبيق)، فايز الداية، دار الفكر دمشق سوريا، ط2، 1996، ص5.

2- ينظر *فقه اللغة*، عبد الواحد وافي، دار النهضة العربية، للطباعة والنشر، بيروت، 1972، ص169.

3- ينظر *لسان العرب لابن منظور* الإفريقي المصري، إنتاج المستقبل للنشر الإلكتروني دار صادر للطباعة والنشر، ط10، 1995، مادة (ش ق ق). ينظر *المزهر في علوم اللغة*، للسيوطي جلال الدين عبد الرحمان بن أبي بكر، شرح وضبط وتصميم محمد أحمد جاد المولى وعلى محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية القاهرة، ج1، 1958، ص346.

ينظر *دراسات في فقه اللغة*، صبحي صالح، مطبعة جامعة دمشق، 1980، ص210. وينظر *الخصائص لابن جني*، أبو الفتح عثمان، تحقيق محمد علي النجار، بيروت، عالم الكتب، ط2، ج2، دار الكتب المصرية، 1952، ص134.

4- ينظر *الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين*، للأنباري، تأليف محي الدين عبد الحميد المكتبة العصرية بيروت، 1407هـ، ص144.

5- ينظر *علم اللغة بين التراث والمعاصرة*، د. عاطف مذكور، القاهرة دار الثقافة للنشر والتوزيع، 1987، ص284.

6- ينظر *دور الكلمة في اللغة* لأولمان ستيفن ترجمة كمال محمد بشير، مكتبة الباب القاهرة، 1975، ص55.

7- ينظر *ألفاظ دخيلة ومعربة في اللهجة القطرية الدوحة* مركز التراث الشعبي لمجلس التعاون لدول الخليج العربية، ط1، 2000، ص11.

8- ينظر *دلالة الألفاظ عند الأصوليين*، دراسة بيانية ناقدة، د. محمد توفيق محمد سعد، مطبعة الأصالة، ط1، 1987، ص121.

9- ينظر المزهر للسيوطي، ص362.

10- ينظر *اتجاهات البحث اللّغوي الحديث في العالم العربي*، رياض قاسم، بيروت مؤسسة نوفل، ط1، 1982، ص328.

11- د. محمد توفيق محمد سعد، المرجع السابق، ص127.

ينظر *علم الدلالة* ترجمة منذر عياش، دار طلاس دمشق، 1988، ص101.

12- ينظر، *نقد الشعر*، لقدامة بن جعفر، مطبعة الجوائب القسطنطينية، 1302هـ، ص59.

13- ينظر *الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها*، لابن فارس "الحسين أحمد بن زكريا بن فارس"، تحقيق مصطفى الشويمي، مؤسسة بدران للطباعة والنشر، بيروت، 1964م، ص204.